الجزاء الدنيوي للفسق والفاسقين في القرآن الكريم

محمد عزات محمد يحيى*

تاريخ وصول البحث: 2020/1/19م **تاريخ قبول البحث: 2020/12/27م**

ملخص

تتناولُ هذه الدراسة موضوعَ الجزاء الدنيويّ للفِسقِ والفاسقين في القرآن الكريم، حيث عدَّ القرآن الفسقَ من أمهات المنكرات والذنوب فجاء الحديثُ عنها في هذه الدراسةِ مبيّناً حقيقة الفسقِ وأنواعَه وجزاءَ كلِّ نوعٍ من أنواعه وكلّ صورةٍ من صُوَره.

هذا وقد خَلُصَ الباحث إلى أنَّ الفِسقَ من أخطرِ الذنوب؛ لذلك رتَّبَ الشارع الحكيم عليه جملةً من العقوبات التي تتفاوتُ قوةً وضعفاً وزيادةً ونقصاناً على قَدَرِ التغول في هذه الآفة الخطيرة.

الكلمات المفتاحية: الجزاء، الجزاء الدنيوي، الفِسق، الفاسقون.

Worldly Punishment of Depravity and Vicious People in the Holy Qur'an

Abstract

This study deals with the subject of the worldly punishment for immorality and immoral people in the Holy Qur'an, as the Qur'an considers immorality among the basics of evils and sins, so the discussion about this scourge came in this study indicating the reality of debauchery and its people, and the penalty for each of its types, and each of its forms. The researcher concluded that debauchery is one of the most serious sins, and that is why Allah has arranged a number of punishments, which vary in strength and weakness, increasing and decreasing in proportion to the extent of penetration into this dangerous scourge.

Keywords: Punishment, worldly punishment, immorality, and the immoral.

* أستاذ مساعد، جامعة القدس المفتوحة، جنين – فلسطين.
mhdalsayyed66@gmail.com

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعدُ:

فإنّ الله ﷻ أنزل كتابه العزيز تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة للعالمين، فشرع في هذا الكتاب شرائع وشعائر وسنناً فيها صلاح الناس وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم، ومن تلك الشرائع التي شرعها الله ﷻ والتي تعود على الناس بالخير والمنفعة شريعة الجزاء الدنيوي.

لقد تحدث القرآن الكريم عن الكثير من الجزاءات الدنيوية، ولما كان موضوع الجزاء الدنيوي للفسق والفاسقين من المواضيع التي لم تأخذ كامل حقها من اهتمام الباحثين، إذ إنّ معظم الباحثين قد صرفوا جهدهم للحديث عن الجزاء الأخروي من بعث ونشور، وجنة ونار، وسعادة وشقاوة بخلاف الحديث عن الجزاء الدنيوي الذي لم يحظَ بالقدر نفسه من الاهتمام.

هذا فضلاً عن عدم القدرة على غضّ الطرف عن الآثار السلبية المدمرة المترتبة على انتشار الفسق بجميع أشكاله، وعليه فقد قرر الباحث أن يقوم بهذه الدراسة والتي جاءت بعنوان: "الجزاء الدنيوي للفسق والفاسقين في القرآن الكريم"؛ لما تشتمله من تجلية حقيقة الفِسق وأثره الخطير على الفرد والمجتمع.

مُشكلةُ الدراسة.

تُحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما هي الجزاءات الدنيوية المُترتبة على آفة الفِسق بجميع أشكاله وصوره؟

وينبثقُ عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما هي حقيقةُ الجزاء الدنيوي؟ وما علاقتهُ بالجزاء الأخروي؟
2. ما هي حقيقةُ الفِسقِ؟ وما هي أنواعه؟
3. ما هي حقيقةُ العلاقة بين الكفرِ والفِسق والظُلم؟

أهدافُ الدراسة.

تهدفُ هذه الدراسة إلى تحقيقِ ما يأتي:

1. بيان حقيقة الجزاء الدُنيويّ، وطبيعة العَلاقة بينه وبين الجزاء الأخروي.
2. بيان حقيقة الفِسق، وتفصيلِ القول في أنواعه وصوره.
3. تحديد الجزاء الدنيويّ المناسب لكلّ صورةٍ من صورِ الفِسق.

مُحددات الدراسة.

تقتصرُ هذه الدراسة على بيان الجزاء الدنيويّ لآفة الفِسق، ومن يتصفُ بكلِّ خصلةٍ من خِصالها، وذلك في القرآن الكريم دون السنة النبوية.

الدراسات السابقة.

لم تعتمد هذه الدراسة على دراساتٍ كاملة ومؤلفاتٍ مستقلة في هذا الموضوع سوى ما كتبه الباحث في أطروحة الدكتوراه التي قدَّمها سنة 1995م في جامعة القرآن الكريم في دولة السودان، والتي جاءت بعنوان: "الجزاء الدنيويّ في القرآن الكريم".

حيثُ جاء الحديث عن جزاء الفاسقين الدنيويّ بإيجازٍ واختصار، فكانت هذه الدراسة تطويراً وتوسيعاً لذلك الإجمال في أطروحة الدكتوراه والتي جمع الباحثُ مادتها مما تفرّق في كتب التفسير وعلوم القرآن.

منهجيّةُ الدراسة.

اقتضت طبيعةُ هذه الدراسة منهجيْن رئيسيْن من مناهجِ البحث:

1. **المنهجُ الاستقرائي:** الذي يقومُ على جمع المادة العلمية من مظانها ومصادرها المختلفة.
2. **المنهج التحليلي:** الذي يقومُ على تحليل نصوص المادة العلمية واستخراج الحِكَم والأحكام واللطائف منها.

خطّة الدراسة.

تتكونُ هذه الدراسة من: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: تعريف الجزاء وأنواعه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجزاء لغةً.

المطلب الثاني: تعريف الجزاء اصطلاحاً.

المطلب الثالث: أنواع الجزاء، ويتناول:

أ. الجزاء الدنيوي.

ب. الجزاء الأُخروي.

ت. العلاقة بين الجزاء الدُنيويّ والأُخرويّ.

المبحث الثاني: الفِسق تعريفهُ واستعمالاته في القرآن الكريم، وفيه ثلاثةُ مطالب:

المطلب الأول: تعريف الفِسق لغة.

المطلب الثاني: تعريف الفِسق اصطلاحاً.

المطلب الثالث: معاني الفِسق في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الجزاء الدنيوي للفسق والفاسقين.

والخاتمة: وفيها عرض لنتائج الدراسة.

وفي الختام نسأل الله تعالى السداد والتوفيق، وأن يجنبنا الزلل والخطأ، وأن نكون قد أوفينا هذا الموضوع بعض حقه، معتذرين عن كل خلل وقصور، إذ الكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول:
تعريف الجزاء وأنواعه.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجزاء لغةً.

قال ابن فارس: "الجيم والزاي والياء: قيام الشيء مقام غيره ومكافأته إياه، يقال: جزيت فلاناً أجزيته جزاءَ، وجازيته مجازاةً"[1].

وقال الراغب الأصفهاني: "الجزاء: الغناء والكفاية، وقال تعالى: **﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾**[33: لقمان]، والجزاء ما فيه الكفاية عن المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر"[2].

وقال الرازي: "الجزاء: المكافأة على الشيء، جزاه به وعليه جزاءً وجازاه مجازاة وجزاءً"[3].

وقال الفيروز أبادي: "الجزاء: المكافأة على الشيء، كالجازية، جزاه به، وعليه جزاءً، وجازاه جزاءً، وجزاءً وتجازى دينه، وبدينه تقاضاه، وجزى الشيء يجزي: كفى، وعنه قضى"[4].

وزاد أيضاً في كتابه بصائر ذوي التمييز[5] أن الجزاء يأتي بمعنى: "العوض والبدل، لقوله تعالى: **﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾**[95: المائدة] أي فبدله. والجزاء بمعنى ثواب الخير والشر، لقوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾** [17: غافر].

وبناءً على ذلك فالجزاء مصدر أصله من الفعل جَزَيَ، ويقع على المعاني التالية: المكافأة على الشيء والمقابلة، والغناء والكفاية، والقضاء والأداء، والعوض والبدل، وثواب الخير والشر.

المطلب الثاني: الجزاء اصطلاحاً.

لم يجد الباحث في حدود علمه وحسب اطلاعه أحداً من العلماء عرَّف مفهوم الجزاء، ولذلك اجتهد في استخلاص تعريفٍ للجزاء من خلال المعاني اللغوية، وعليه:

فالجزاء هو: ما يجب أن يناله الإنسان بحكم عمله وحاله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فهذا الجزاء يكون ثواباً ويكون عقاباً.

فإذا أُطلق الجزاء في معرض المثوبات والصالحات فإنما يراد به الثواب.قال الراغب الأصفهاني: "والثواب: ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله، فيسمى الجزاء ثواباً تصوراً انه هو هو، ألا ترى كيف جعل تعالى الجزاء نفس العمل في قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[7: الزلزلة]، ولم يقل جزاءه، والثواب يقال في الخير والشر، لكن الأكثر المتعارف في الخير وعلى هذا قوله ﷻ: ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[195: آل عمران]، وكذلك المثوبة في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾[60: المائدة]، فإن ذلك استعارة في الشر كاستعارة البشارة فيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾[103: البقرة]، والإثابة تستعمل في المحبوب، قال تعالى: {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا }(85: المائدة)، وقد قيل ذلك في المكروه: {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ }(153: آل عمران)، على الاستعارة كما تقدم"[6].

وإذا أُطلق الجزاء في معرض العقوبات فإنه يراد به ما يجب حقاً لله تعالى بمقابلة فعل العبد؛ لأنه المجازي على الإطلاق، ولهذا سُميت دار الآخرة دار الجزاء[7].

المطلب الثالث: أنواع الجزاء.

لقد تحدث القرآن الكريم عن نوعين من الجزاء، هما: الجزاء الدنيوي، والجزاء الأخروي، وبيّن كذلك أنّ كلاً من هذين الجزاءين قد يكون ثواباً وقد يكون عقاباً، وفيما يلي بيان ذلك.

أ) **<u>الجزاء الدنيوي:</u>**

لقد أشار القرآن الكريم إلى الجزاء الدنيوي بشقيْه الثوابي والعقابيّ في كثيرٍ من الآيات، منها الآيات المتحدثة عما لقيته بعض الأمم السابقة من الجزاء في دنياهم كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾[50-53: النجم].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[6-14: الفجر].

وكذلك الآيات التي تحدثت عن الذنوب والمعاصي التي عاقبتها حدودٌ وقِصاص.

هذا في مجال العقاب، أما في مجال الثواب فكثيرةٌ هي الآيات التي تتحدثُ عن النصر والغنيمة والرزق الحسن وانشراحِ الصدور كثوابٍ من الله ﷻ على الأعمال الصالحات بشتى صورها.

كقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ**﴾[55: النور].

وقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[47: الروم].

وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ**﴾[28: الرعد].

فالاستخلافُ في الأرض وتمكينُ أهل الحق وحلولُ الأمن والأمان ونصرُ المؤمنين واطمئنانُ القلوب، كلُّ ذلك من الثواب العاجل للمؤمنين في هذه الدنيا.

ب) <u>الجزاء الأُخروي:</u>

إذا كان القرآن الكريم قد تحدَّثَ عن الجزاء الدنيويّ في بعض آياته، فقد جاء الحديثُ عن الجزاء الأخرويّ اشملَ وأوسع، وذلك لكونه الجزاء النهائي الأبدي والجزاء الأوفى والأشمل.

والشواهد من كتاب الله على هذا الجزاء كثيرةٌ جداً، نذكرُ منها على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في النصف الثاني من سورة الرحمن من الحديث عن جزاء المجرمين وجزاء المتقين، ابتداءً من قوله تعالى: ﴿**يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ**﴾[41: الرحمن] إلى نهاية السورة.

وكذا الأمرُ في سورة النبأ من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا**﴾[21: النبأ] إلى نهاية السورة.

ويُلحظ التعقيب على الآيات الذاكرة للعقاب بقوله تعالى: {جزاءً وفاقا} أي: "جوزوا جزاءً موافقاً لأعمالهم، واستأنفت الآيات تُبيّن أعمالهم وتعلل عذابهم: {إنّهم كانوا لا يرجون حسابا} أي: لم يؤمنوا بالبعث ليرجوا الحساب ويخافوا منه، {وكذّبوا بآياتنا كِذّابا} أي كذّبوا بأدلة التوحيد والنبوة والبعث تكذيباً مفرطاً أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالين فيه"[8].

كما يُلحظ ختم الآيات الذاكرة لثواب المتقين بقوله تعالى: {جزاءً من ربكَ عطاءً حِسابا}، "أي: جزاء لهم على صالح أعمالهم؛ تفضلا منه تعالى بذلك الجزاء،{ حسابا}، أي: كافيا، أو على حسب أعمالهم"[9].

ج) <u>العلاقة بين الجزاء الدنيويّ والأخرويّ:</u>

إنَّ المتأمل في آيات الكتاب يرى أنَّ الجزاءيْن الدُنيويّ والأخرويّ قد يجتمعان في الذكر فيكونان متلازميْن متكامليْن، وقد يتفرّقان بأن يُذكر أحدهما دون الآخر؛ وذلك لحِكَمٍ تقتضيها النصوص وموضوعات السور.

فمثال الجمع بينهما قوله تعالى في سياق الحديث عن المجاهدين الصادقين والربانيين: ﴿**آتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[148: آل عمران].

قال البيضاوي: "فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجوء إلى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا، والجنة والنعيم في الآخرة، وخصَّ ثوابها بالحُسْن؛ إشعاراً بفضله وأنه المُعتد به عند الله"[(10)].

ويقول تعالى جامعاً بين الجزاءيْن: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[97: النحل].

قال ابن كثير: "هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا – وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله – بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة"[(11)].

ومثال انفراد أحدهما عن الآخر قوله تعالى في سورة التوبة تعقيباً على غزوة حُنيْن ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**﴾[26: التوبة].

وأمثلةٌ أخرى كثيرة سبق ذكر بعضها في بداية المطلب.

المبحث الثاني:
الفسق: تعريفه واستعمالاته في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفسق لغةً.

الفسق مصدر أصله من الفعل فسق، ومعناه: الخروج عن الشيء.

قال ابن فارس: "الفاء والسين والقاف كلمة واحدة وهي الفِسْق، وهو الخروج عن الطاعة. تقول العرب: فسقت الرطبة عن قشرها: إذا خرجت"[(12)].

وقال الراغب الأصفهاني: " فَسَقَ فلان: خرج عن حَجْر الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرطب، إذا اخرج عن قشره... وسميت الفأرة فويسقة لما أعتقد فيها من الخُبْث والفسق، وقيل: لخروجها من بيتها مرة بعد أخرى"[(13)].

وقال الزمخشري: "فَسَقَ عن أمر الله: خرج، وتقول: فسقت الرّكاب عن قصد السبيل: جارت. قال رؤبة: يهوين في نجد وغوراً غائراً فواسقاً عن قصدها جوائراً، وفسقت الرطبة عن قشرها، والفأرة عن جحرها. وأضرمت الفويسقة على أهل البيت النار وهي الفأرة؛ لعيثها في البيوت"[14].

وقال الرازي: "فسقت الرطبة خرجت عن قشرها، وفسق عن أمر ربه، أي: خرج"[15].

وقال ابن منظور: "فسق يَفْسِق ويَفْسُق فسقاً وفسوقاً، والفسق: الخروج عن الأمر، وفسق عن أمر ربه، أي: خرج"[16].

المطلب الثاني: الفسق اصطلاحاً.

قال ابن عطية: "الفسق هو الخروج من طاعة الله ﷻ، فقد يقع على من خرج بكفر، وعلى من خرج بعصيان"[17].

وقال الحافظ ابن حجر: "هو الخروج عن طاعة الله ورسوله، وهو في عرف الشرع أشد من العصيان[18].

وقال الحافظ السخاوي: "هو ارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة"[19].

وقال أبو السعود: "هو الخروج عن طاعة الله ﷻ بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الإصرار على الصغيرة"[20].

وللراغب الأصفهاني كلمة يحسن ذكرها هنا، حيث قال: "والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به، ثم أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل الكافر الأصلي فاسق، فلأنه أخلّ بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة"[21].

المطلب الثالث: معاني الفسق في القرآن الكريم.

إنَّ الناظر في كتاب الله يجد أن القرآن أطلق لفظ الفِسق على نوعيْن من الخُروج عن طاعة الله، أحدهما: مخرجٌ عن المِلّة، والآخر غيرُ مُخرجٍ عن الملّة.

يقول الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– في تفسيره معقباً على قوله تعالى: **﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾**[99: البقرة]، "يكون الفِسقُ على نوعيْن: فسقٌ أكبر مُخرجٌ عن الملّة كما في قوله تعالى: **﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾**[19–20: السجدة]، ووجه الدلالة أنه تعالى جعل الفسق هنا مقابلاً للإيمان، والثاني: فِسقٌ أصغر لا يُخرِج عن الإيمان ولكنّه ينافي العدالة كقوله تعالى: **﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾**[7: الحجرات]، فعطفَ (الفسوق) على(الكفر) والعطف يقتضي المُغايرة"[22].

وقال الزمخشري معقباً على الآية نفسها من سورة البقرة: "إلا الفاسقون، إلا المتمردون من الكفرة"[23].

وقال الفخر الرازي: "المراد، ما يكفر بها إلا الكافر المتجاوز عن كل حدٍ في كفره"[24].

ويشهد لهذا المعنى أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[82: آل عمران].

قال الزمخشري: "فأولئك هم الفاسقون: المتمردون من الكفار"[25].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾[8: التوبة].

قال الإمام الطبري: "وأكثرهم فاسقون يعني واكثرهم مخالفون عهدكم ناقضون له كافرون بربهم خارجون عن طاعته"[26].

وقال القرطبي: "كل كافرٍ فاسق، ولكنه أراد ها هنا المجاهرين بالقبائح ونقض العهد"[27].

هذا وقد تضافرت الآيات على تأكيد هذا المعنى، وهو إطلاقُ الفسق على الكفر، فمن ذلك قوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم أن لا يصلي على موتى المنافقين، حيث قال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[84: التوبة].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[33: يونس].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[55: النور].

والآيات على هذا المعنى كثيرة.

ومن أصناف الفاسقين الذين سجل القرآن كفرهم بالفِسق:

1) إبليس، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [50: الكهف].

2) قومُ نوح عليه السلام: لقد أوغل قوم نوحٍ عليه السلام في الكُفر حتى دخلوا في زمرة الفاسقين المتمردين على دين الله، قال تعالى في حقهم: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسقين﴾[46: الذاريات].

3) قوم فرعون: فقد لجَّ هؤلاء في الكفر حتى وُسموا بالفِسق، فقال الله فيهم وفي فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[54: الزخرف].

4) اليهود: وهؤلاء القوم هم أشد أصناف الفَسَقة فِسقاً؛ لأنهم أشدُّ الناس كفراً، وقد درج القرآن في آياتٍ كثيرة على وصفهم بالفاسقين، فمن ذلك قوله تعالى في سياق الحديث عنهم ﴿وَلَقَد أَنزَلنَآ إِلَيكَ ءَايَٰتِ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلفَٰسِقُونَ﴾[99: البقرة].

وكذلك قوله تعالى بحق بني النضير: ﴿وَلِيُخزِيَ ٱلفَٰسِقِينَ﴾[5: الحشر].

وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام في آخر عهده ببني إسرائيل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[25: المائدة].

ولقد كان الفِسقُ سجية بني إسرائيل التي لازمتهم في كل أحوالهم، ويؤكد ذلك قوله تعالى في حقهم: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[59: البقرة].

وقوله تعالى فيهم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[165: الأعراف].

فقد استخدمت الآيتان السابقتان الفعل المضارع (يفسُقون) ومعلومٌ أن الفعل المضارع يفيد الحدوث والتجدد، فهم يُحدِثون الفِسق بعد الفِسق حتى صار صفة ملازمة لهم.

ولهذا تنبه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – رحمه الله– إلى هذه القضية، فقال معقبا على قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[26: البقرة] "فالأظهر أن المراد من الفاسقين اليهود، وقد أُطلق عليهم هذا الوصف في مواضع من القرآن"[28].

وقال في موطنٍ آخر: "وقد شاع في القرآن وصف اليهود به –أي الفسق– والمعنى ما يكفر بهذه الآيات إلا من كان الفسق شأنه ودأبه؛ لأن ذلك يهيئه للكفر"[29].

5) المنافقون: ومن أصناف الفاسقين المنافقون، يقول تعالى مخاطباً لهم: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[53: التوبة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[67: التوبة].

ويقول تعالى في حقهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[6: المنافقون].

ووجه وصمهم بالفِسق: أنهم أفرطوا في النفاق وتمردوا على الدين وتخلّقوا بأخبثِ السجايا والصفات.

وأما النوع الثاني للفسق في القرآن الكريم فهو الذنوب والمعاصي التي لا تُخرِجُ عن المِلّة، يقول تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[197: البقرة].

قال ابن جُزيّ الكلبي: "والفسوق: المعاصي"[30].

وقال صاحب المنار: "والفسوق: الخروج عن حدود الشرع بأي فعلٍ محظور، وقيل: إن المراد به الذبح للأصنام خاصة، وخصَّه بعضهم بالسُّباب والتنابز بالألقاب"[31].

ويقول تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[7: الحجرات].

قال ابن كثير: "والمراد بالفسوق الذنوب الكِبار"[32].

وقال البيضاوي: "الفسوق: الخروج عن القصد"[33].

وهكذا يتبين لنا أنَّ لفظ الفِسق في الإطلاق القرآني يقع على جميع الذنوب والمعاصي، ثمَّ هو يمتدُ ليشمل الكفر إلى حده الأقصى، فهو "أعمُّ من الكفر"[34] كما قال الراغب الأصفهاني.

المبحث الثالث:

الجزاء الدنيوي للفسق والفاسقين.

يُعدُّ الفسـق من أمهات المنكرات والذنوب التي رتب عليها القرآن الكريم عقاباً شـديداً في الدنيا والآخرة، وقد اتسـم هذا العقاب الدنيوي الذي هو موضوع بحثنا بالعدل والوضوح والنجاعة، وقد تمثل هذا العقاب بما يلي:

أولاً: حرمانهم من الهداية وإضلالهم.

من العقوبات التي عاقب الله بها الفاسـقين حرمانُهم من أعظم نعمة وهي الهداية إلى طريق الحقّ والصـواب، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[6: المنافقون].

ويقول تعالى في آيتين من سورة التوبة: ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[24، 80: التوبة].

"أي لا يوفق للإيمان الخارجين عن طاعته، ولا يهديهم إلى سبيل السعادة"[35].

وذلك كقوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[33: يونس].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل زيد عليه بإضلالهم، يقول تعالى: ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ**﴾[26: البقرة].

"والمقصود بإضلالهم: تثبيتهم على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه"[36]. وهذا من أشنع أنواع الجزاء أن يثبت المرء على ضلاله، ويزداد فيه.

وإنَّ "إضلال من ضلَّ ليس لمجرد المشيئة، بل لوجود العلة التي كانت سبباً في إضلال الله العبد"[37].

"فتخصـيص الإضـلال بهم مرتبا على صـفة الفسـق وما أُجريَ عليهم من القبائح للإيذان بأن ذلك هو الذي أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال، فإن كفرهم وعُدولهم عن الحق وإصرارهم على الباطل صرفت وجوه أنظارهم عن التدبر والتأمل حتى رسخت جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروا وقالوا ما قالوا"[38].

ثانياً: حرمان الفاسقين من رضى الله ﷻ.

يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين ﴿**فَإِنْ تَرْضَـوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَـى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِـقِينَ**﴾[96: التوبة]. قال علّامة الشام محمد جمال الدين القاسمي في هذه الآية: "تبعيد عن الرضا عنهم على أبلغ وجه، فإن الرضا عمن لا يرضى الله تعالى عنه، مما لا يكاد يصدر عن المؤمن"[39].

"فالله لا يرضـى عن القوم الفاسقين عن أمره، منهم ولا من غيرهم، فإن هذا الفسق سبب أو علة لسخط الله تعالى، فالحكم بعدم رضاه متعلق به لا بذواتهم وشخوصهم، ومقتضاه: أنه إذا فُرض أن بعض المؤمنيـن رضـي عنهم بعد النهي عنه كان فاسقاً مثلهم"[40].

وعلى هذا فلا يحلُّ لمسلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرضى ظاهراً أو باطناً عن القومِ الفاسقين؛ لأنَّ ذلك يعرّضه لسخطِ الله لعدم امتثاله لأمره.

ثالثاً: استخفافُ الطغاة للفاسقين واستجهالهم إياهم.

إنَّ الفِسق مظنة الطيشِ والجهلِ والرعونة، ومن كان حاله كذلك سَهُل على الطغاة أن يستخفوا بعقولهم ويأخذوا بهم إلى ميادين الضلال والشقاء.

يُقال: "استخفَّهُ الهَمُ والفَزَعُ، واستخَّفَ به: استهانَ به"[41].

يقول تعالى واصفاً عبث فرعون بعقول قومه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[54: الزخرف].

يقول صاحب الظلال معقباً على هذه الآية: "واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه، فهم يعزلون الجماهير أولا عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها، ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تتطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة. ومن ثم يسهُل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين، ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفِعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزِنون بميزان الإيمان. فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح. ومن هنا يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون فيقول: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[54: الزخرف]"[42].

رابعاً: اختبار الفاسقين بالبلاء والمصائب لأخذهم.

ومثال ذلك قوله تعالى في حق القرية التي كانت حاضرة البحر: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [163: الأعراف].

"فقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، يشير إلى أن فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون هو سبب بلائهم بمثل ذلك البلاء العجيب الفظيع الذي جاء اختباراً لهم؛ ليظهر عداوتهم ويؤاخذهم به"[43].

خامساً: عدم تقبّل نفقات الفاسقين.

مما يجازي به الله الفاسقين عدم تقبّلِ نفقاتهم وأعمال الخير منهم، فلا يوجد الله لها قبولاً عند الناس، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[53: التوبة].

"فالمعنى: قل أيها الرسول لهؤلاء المنافقين: أنفقوا ما شئتم من أموالكم في الجهاد أو غيره مما أمر الله به في حال الطوع للتقية، أو الكره خوف العقوبة، فمهما تنفقوا في الحالين لن يتقبل الله منكم شيئا منه، ما دمتم على شك مما جاءكم به الرسول من أمر الدين والجزاء على الأعمال في الآخرة.

﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ هذا تعليل لعدم قبول نفقاته، ومعناه: إنَّ إنفاقكم طائعين أو مُكرهين سيان في عدم القبول؛ لأنكم كنتم قوماً فاسقين، "وإنما يتقبل الله من المتقين"، والمراد بالفسوق هنا الخروج من دائرة الإيمان"[44].

سادساً: نسيانُ الأنفس.

مما يعاقب الله به بعض أصناف الفاسقين أنه يُنسيهم أنفسهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[19: الحشر].

قال ابن القيّم في (دار السعادة): "تأمل هذه الآية تجد تحتها معنىً عظيماً، وهو أن من نسي ربه، أنساه ذاته ونفسه، فلم يعرف حقيقته ومصالحه، بل نسي ما فيه فلاحه وصلاحه، في معاشه ومعاده، فصار معطلا مهملا بمنزلة الأنعام السائبة، بل ربما كانت الأنعام أخبر بمصالحها منه؛ لبقائها على هداها الذي أعطاه إياها خالقها، وأما هذا فخرج عن فطرته التي خُلق عليها، فنسي ربه، فأنساه نفسه وصفاته"[45].

سابعاً: نسيان الله لهم.

إنَّ من العقوبات التي يُنزلها الله ببعض طوائف الفاسقين أنه ينساهم جزاء نسيانهم له، يقول تعالى في حق المنافقين الفاسقين: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[67: التوبة].

يقول صاحب المنار: "وأما نسيان الله لهم فهو عبارة عن مجازاتهم على نسيانهم إياه بحرمانهم من فوائد ذكره، وفضيلة التقرب إليه بالإنفاق والجهاد في سبيله، وغير ذلك من توفيقه ولطفه في الدنيا، وحرمانهم من الثواب على ذلك في الآخرة. {إنَّ المنافقونَ همُ الفاسقون} الراسخون في الفسوق وهو: الخروج من محيط الإيمان وفضائله، الناكبون عن صراطه المستقيم إلى طريق الشيطان ورذائله"[46].

ثامناً: عدم الثقة بأخبار الفاسقين إلى أن يتبين صدقهم.

الأصل أنّ الفاسق شخصٌ غير موثوق به ولا بأخباره؛ لأنه مظنةُ الكذب والتهاون، يقول تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[6: الحجرات].

"والتبَيُّنُ طلب البيان والتعرُّف، وقريبٌ منه التثبُّت، وهو طلب الثبات والتأني حتى يتضح الحال. وتنكير (فاسق) للتعميم؛ لأنه نكرة في سياق الشرط، والنبأ الخبر. والآية نزلت في حوادث وقع بها الظلم على البعض فيما افتُريَ عليه مما ظهر عند التثبّت أنه بريءٌ منه، وحُكْمُ الآية عامٌ إلى يوم القيامة"[47].

وفي تعقيبه على هذه الآية يقول ابن العربي رحمه الله: " من ثبُتَ فِسقُه بَطُلَ قوله في الأخبار إجماعاً؛ لأنَّ الخبر أمانة والفِسقُ قرينةٌ تُبطلها، فأما في الإنسان على نفسه فلا يبطل إجماعاً"[48].

ثم قال: "لا خلاف في أنه يصح أن يكون رسولاً عن غيره في قول يبلغه، أو شيءٍ يوصله، أو إذنٍ يعلمه، إذا لم يخرج عن حق المرسِل والمبلِغ، فإن تعلّق به حقٌ لغيرهما لم يُقبَل قوله. فهذا جائزٌ للضرورة الداعية إليه، فإنه لو لم يتصرف بين الخلق في هذه المعاني إلا العدول لم يحصل منهم شيء؛ لعدمهم في ذلك"[49].

تاسعاً: إنزال أشد العذاب وأفظعه بعتاة الفاسقين.

مما يجازي الله تعالى به عتاة الفاسـقين وأكابر مجرميهم أن ينزل بهم أشـد أنواع العذاب وأفظعه وأبشـعه، وعتاة الفاسقين هم الذين مردوا على الفسق وبلغوا به الغاية القصوى والنهاية العظمى، وهم الذين تحروا الفسق في كل ما يأتون وما يذرون، فأمثال هؤلاء جازاهم الله بعدة جزاءات منها ما يأتي:

1. الرجز من السـماء، فقال تعالى: **﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّـمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُـقُونَ﴾**[59: البقرة]، "أي: فأنزلنا على الذين غيروا ما أُمروا به عذاباً من السماء وهو الطاعون، أو نار محرقة، بسبب فسقهم المستمر"[50].

2. ومنها المسخ، يقول تعالى في حق فرقة من اليهود: **﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِـئِينَ﴾**[165: الأعراف]، أي: وأهلكنا الذين ظلموا بعذاب أليم شـديد بسـبب عصيانهم وخروجهم وتمردهم عن طاعة الله بأن مسخناهم قردة ذليلين حقيرين مهانين[51].

عاشراً: التدمير على المترفين الفاسقين.

إنَّ ضـخامة العذاب وشدته الذي ينزل بمن يستحقه يكون على قَدَرِ إجرامه وإفساده وطغيانه، ولا شك أن المترفين الفاسقين هم من أقدر الناس على ممارسة الفساد فقد تهيأت أسبابه من المال وحب الدنيا وانعدام الدين، بل والتمادي في تحكيم الهوى، مما يجعل العاقبة خطيرة والنتيجة فظيعة.

يقول تعالى: **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾**[16: الإسراء].

"إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسنناً لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته، والله لا يأمر بالفسـق لأن الله لا يأمر بالفحشـاء، لكن وجود المترفين في ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها وسارت في طريق الانحلال وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا، وهي التي تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة، فالإرادة هنا ليسـت إرادة توجيه القهري الذي يُنشِـئ السـبب ولكنها تَرَتُبُ النتيجة على السـبب، والأمر ليس أمراً توجيهياً للفسق، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين وهي الفِسق"[52].

الخاتمة والنتائج.

وفي ختام هذه الدراسة، فإنه يمكن إجمال نتائج البحث على النحو الآتي:

1- أهمية التفسير الموضوعي في تقريب وتيسير فهم تشريعات القرآن الكريم وأحكامه.

2- للجزاء الدنيوي أثر عظيم في توجيه السلوك وتطهير المجتمع من الآفات والمنكرات.

3- حرص الدين الإسلامي على إنشاء مجتمعٍ سليم معافىً من الآفات والمنكرات.

4- الجزاء على الأعمال خيرها وشرها هو أنجع وسيلةٍ للارتقاء بالمجتمع نحو الكمال.

5- شُرع الجزاء الدنيوي لتحقيق غاياتٍ عليا وأهداف سامية.

6- عظمة الذنب توجب عظمة الجزاء.

7- الفِسقُ من الآفات الخطيرة وأمهات المنكرات التي تؤدي إلى تقويض المجتمعات والأمم.

8- الأخذ على يد الفاسقين بتحكيم شرع الله فيهم هو السبيل الوحيد لاستقرار المجتمعات والنهوض بها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش.

(1) أحمد بن فارس (ت 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل 1999م، (ط1)، ج1، ص455.

(2) الراغب الأصفهاني (ت 425هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، 1992م، (ط1)، ص195.

(3) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 666هـ)، **مختار الصحاح**، بيروت، مكتبة لبنان، 1981م، (ط1)، ص44.

(4) محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت 817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: عبد الخالق السيد، القاهرة، مكتبة الإيمان، 1999م، (ط1)، ص1082.

(5) محمد بن يعقوب فيروز أبادي (ت 817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، القاهرة، لجنة إحياء التراث، 1992م، (ط1)، ج2، ص380.

(6) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص180.

(7) أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: د.عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2012، (ط2)، ص297.

(8) عبد الحميد محمود طهماز (ت 1431هـ) **التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم**، دمشق، دار القلم، 2014م، (ط2)، ج8، ص409.

(9) محمد جمال الدين القاسمي (ت 1322هـ)، **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، 1994م، (ط1)، ج7، ص247.

(10) أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت 691هـ)، **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: الشيخ محمد محيي الدين الأصفر، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 2013، (ط1)، ص205.

(11) أبو عبد الرحمن محمد بن محمود بن إبراهيم عطية، **تيسير تفسير ابن كثير**، دار البارودي للطباعة والنشر، 2009، (ط1)، ص582.

(12) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج4، ص502.

(13) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص636.

(14) محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، **أساس البلاغة**، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1994، (ط1)، ص473.

(15) الرازي، **مختار الصحاح**، ص211.

(16) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، (ط1)، ج11، ص181، مادة فَسَقَ.

(17) عبد الحق بن غالب بن عطية (ت 546)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، (ط1)، ج1، ص112.

(18) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد العزيز بن باز، بيروت، دار الفكر العربي، 1993، (ط1)، ج1، ص154-155.

(19) محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، تحقيق: صلاح عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م، (ط1)، ج1، ص315.

(20) محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الفرآن الكريم المعروف بتفسير أبي السعود**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، ج1، ص75.

(21) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص636.

(22) الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت 1421هـ)، **الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين**، اعتنى به وخرّج أحاديثه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، بيروت، لبنان، كتاب-ناشرون، 2010م، (ط1)، ج1، ص271.

(23) محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**، تحقيق: محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م، (ط1)، ج1، ص171.

(24) محمد بن عمر بن حسين الفخر الرازي (ت 606هـ)، **مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الرازي وبالتفسير الكبير**، تحقيق: خليل الميس، بيروت، دار الفكر، 1995م، (ط1)، ج2، ص217.

(25) الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص372.

(26) محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، مركز هجر للطباعة والنشر، 2001م، (ط1)، ج11، ص359.

(27) محمد بن محمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن الكريم والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ورفاقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2006م، (ط1)، ج10، ص120.

(28) محمد الطاهر بن عاشور (ت 1973م) **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، 2000، (ط1)، ج1، ص362.

(29) ابن عاشور، **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**، ج1، ص607.

(30) محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت 740هـ)، **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983م، (ط4)، ج1، ص75.

(31) محمد رشيد رضا (ت 1354هـ)، **التفسير المختصر المفيد للقرآن المجيد مختصر تفسير المنار**، علق عليه: محمد أحمد كنعان، بيروت، المكتب الإسلامي، 1984م، (ط1)، ج1، ص156.

(32) ابن إبراهيم عطية، **تيسير تفسير ابن كثير**، ص1023.

(33) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ص970.

(34) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص636.

(35) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، جدة، مكتبة جدة، 1976ن، ج1، 525.

(36) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج1، ص75.

(37) ابن عثيمين **الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين**، ج1، ص115.

(38) الدكتور محسن عبد الحميد، **أوضح المعاني في تهذيب تفسير روح المعاني**، أربيل، التفسير للنشر والإعلان، 2015م، (ط1)، ج1، ص57.

(39) القاسمي، **محاسن التأويل**، ج4، ص188.

(40) محمد رشيد رضا، **مختصر تفسير المنار**، ج3، ص337.

(41) الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص232.

(42) سيد قطب (ت 1966م)، **في ظلال القرآن، القاهرة**، دار الشروق، 2009م، (ط38)، ج5، ص3194.

(43) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج3، ص285.

(44) محمد رشيد رضا، **مختصر تفسير المنار**، ج3، ص296.

(45) القاسمي، **محاسن التأويل**، ج7، ص71.

(46) محمد رشيد رضا، **مختصر تفسير المنار**، ج3، ص310.

(47) الدكتور محسن عبد الحميد، **أوضح المعاني في تهذيب تفسير روح المعاني**، ج5، ص46-47.

(48) أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت 543هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م، (ط1)، ج1، ص146.

(49) ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج4، ص148.

(50) أحمد بن محمود السيواسي، **عيون التفاسير للفضلاء السماسير**، تحقيق: د. محسن الخالدي، رسالة دكتوراه، السودان، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ص165، من المقدمة وحتى الأنعام.

(51) الشيخ محمد الصابوني والشيخ صالح أحمد رضا، **مختصر تفسير الطبري، مختصر تفسير الطبري لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري**، بيروت، عالم الكتب، 1993م، (ط2)، ج1، ص410.

(52) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، 2218.